﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال: 41]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـــطُ نـصـرِ المُـؤمِـنـينَ على الأعداء، بقَسْمِ ما تَحَصَّلَ منَ الغَنائِم

لمّا أمرَ اللّهُ تعالى بالمقاتَلةِ في قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾، وكان منَ المعلوم أنَّ القتالَ قد تكونُ فيه مكاسبُ، وقد تحصلُ عند المقاتِلَةِ الغنيمةُ، لا جَرمَ ذكرَ اللّهُ تعالى حكمَ الغنيمة[1]. وأيضًا، لمّا كان التَّقديرُ: فإذا أعانكم مولاكم عليهم، وغلبتُموهم وغَنِمْتُم فيه، فلا تَنْسُبوا إلى أنفسِكم فِعلًا، بلِ اعلموا أنَّه هو الفاعلُ وحدَه؛ لأنَّ الملكَ للّه وحدَه، فلا تتنازعوا في المغنَم تنازعَ مَن أخذَهُ بقوَّته، وحازَه بقدرته - عَطَفَ عليه قولَه: ﴿۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾[2]، وأيضًا لمّا أجْمَلَ مِن حُكْم الأنفالِ مُفتَتَحَ السّورةِ انتقلَ لبيانِ حكمِ الغنيمةِ، وناسبَ الانتقالُ إليه ما جرى منَ الأمرِ بقتالِ المشركينَ، إن عادوا إلى قتالِ المسلمين[3].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غَنِمۡتُم﴾: أصلُ مادّة (غنم)، يعودُ إلى معنًى حسّيٍّ هو (الغَنَم)؛ أي: جنس الحيوان المعروف، فإنَّ الظفرَ به يُسَمَّى غُنْمًا، والأصلُ في الغُنْم هو الفوزُ بالشّيء من غير مشقّةٍ، ثمّ اتُّسِع في ذلك، فسُمّي كلُّ ما يُظفَرُ به منَ العدوِّ، سواءً أكان

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/484، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/353.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/282 - 283.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/5.

بمشقّةٍ أو بدون مشقّةٍ؛ غُنْمًا ومَغْنَمًا وغَنيمةً، ثُمَّ اختصَّ به ما أُخِذَ مَن مالِ المُشركينَ بقَهرٍ وغَلبةٍ[1].

ويُقال: "غَنِمْتُ أَغْنَمُ غَنْمًا وغَنيمَةً، والغنائمُ جمعُها، والمغانم: جمعُ مَغْنَم، والغُنْمُ بالضّمّ الاسمُ، وبالفتح المصدر، والغانم: آخِذُ الغنيمةَ. والجمع: الغانمون. ويُقال: فلانٌ يتغنَّمُ الأمرَ؛ أي: يَحْرِصُ عليه، كما يَحرِصُ على الغنيمة"[2].

2) ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: يدورُ معنى اليُتْم على انفراد الشَّيءِ عن مُجانسِه، مُستقلًّا بذاته، ومنه الدّرّةُ اليتيمةُ المتفرِّدةُ بقيمتِها أو صفتِها، لاتَشْرَكُها أخرى في هذه القيمة، وكلُّ منفردٍ يتيمٌ. واليُتْمُ هنا هو انقطاعُ الصّبيّ عن أبيه قبلَ بلوغِه، وكلُّ ما في القرآن من لفظ اليتيم مفردُهُ ومثنّاهُ وجمعُهُ هو بهذا المعنى[3]. وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾ [النّساء: 2]، سمّاهم يتامى بعدَ بلوغِهم وإيناسِ رُشْدِهم؛ لِلزومِ اليُتْمِ إيّاهم، كما قالوا للنّبيّ ﷺ بعدَ كِبَرِه: يتيم أبي طالب؛ لأنّه ربّاه. وقال الأصمعيّ: اليتيمة: الرّملةُ المنفردةُ، قال: وكلُّ منفردٍ ومنفردةٍ عند العرب يتيمٌ ويتيمةٌ[4].

3) ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: يدورُ معنى (سكن) على استقرارٍ في جوفِ حيِّز أو باطن: كالقوت في الجوف، وكَهُمودِ ما يُذبَحُ بالسّكّين في مكانه، ومنه المسكين، وهو القارُّ الصّابرُ على ما هو فيه، لا يجاهدُ للتّخلُّص منه، إمّا للتّسليم لصاحب الأمرِ سبحانه، أو لسببٍ عنده. و﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ في الآية جمعُ مِسْكينٍ، وهو الّذي لا يملكُ ما يَسُدُّ حاجتَه؛ لعجزِه واستكانتِه وتسليمِه، واختُلِفَ في أيّهما أشدُّ حاجةً الفقير أو المسكين[5].

4) ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: هو المسافرُ البعيدُ عن منزله، وقد نُسِبَ إلى السّبيل وهي الطّريقُ السّهلُ؛ وذلك لِتَلَبُّسِه به، أو لممارستِه إيّاه، حتّى أصبح بعيدًا عن منزله، أو لملازَمَتِه الطّريقَ في السّفر، أو لأنَّ الطّريقَ تُبرزه، فكأنّها ولدَتْه[6].

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (غنم).
(2) ابن الأثير، النّهاية: (غنم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (يتم).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (تيم).
(5) الرّاغب، المفردات، والفيّوميّ، المصباح المنير: (سكن).
(6) الرّاغب، المفردات، والفيّوميّ، المصباح المنير: (سبل)، والآلوسيّ، روح المعاني: 1/443.

وقال ابنُ الأثير: "وأمّا ابنُ السّبيلِ فهو المسافرُ الكثيرُ السّفرِ، سُمّيَ ابنًا لها لُملازَمَتِه إيّاها. وفيه: «حريمُ البئرِ أربعون ذراعًا من حواليها لأعطانِ الإبلِ والغَنَم، وابنُ السّبيلِ أوّلُ شاربٍ منها»[1]؛ أي: عابرُ السّبيلِ المجتازُ بالبئرِ أو الماءِ أحقُّ به منَ المُقيم عليه، يُمَكَّنُ مِنَ الوِرْدِ والشُّربِ"[2]. وقالَ الشّافعيُّ: "ابنُ السَّبيلِ من أهلِ الصَّدقةِ الّذي يُريد بلدًا غيرَ بلدِه لأمرٍ يَلزَمُه. قال: ويُعْطى ابنُ السَّبيلِ قدرَ مايُبَلِّغُه البلدَ الّذي يريدُه في نَفَقَتِه وحَمولَتِه"[3].

5) ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾: تدلُّ مادَّةُ (فرق) على تمييزٍ وتزييلٍ بين شيئين، والفُرقان أبلغُ منَ الفَرْقِ؛ لأنَّهُ يُستَعملُ في الفَرْقِ بين الحقِّ والباطِل، والفَرْقُ يُستَعملُ في ذَلِك وفي غَيره. والمرادُ بـ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ في هذه الآية يومُ بدرٍ الّذي فرَقَ اللّهُ فيه بين الحقّ والباطل[4]. "والفُرقانُ: البُرهانُ، وهذا مُسْتَقْصًى في كتاب لغات القرآنِ، ورجل فروقَة، وكذلك المرأة، أُخرِجَ مخرجَ نسّابة وعلّامة وبصيرة وما أشبه ذلك"[5].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعظيمُ شأنِ يومِ بدرٍ، بما وهبه اللهُ منَ النّصرِ والغنائمِ والآياتِ

واعْلَموا، أيُّها المؤمنون، أنَّ ماظَفِرتُم به مِن مالٍ منَ الكفّارِ بغَلَبةٍ وقَهْرٍ، وإن كانَ شيئًا قليلًا، فأربعةُ أخماسِه للمقاتِلينَ الّذين حضروا المعركة، والخُمُسُ الباقي يجزَّأُ خمسةَ أقسام: الأوَّلُ للّهِ وللرَّسولِ، فيُجعلُ في مصالحِ المسلمينَ العامَّة، والثّاني لذوي قرابةِ رسولِ اللّهِ ﷺ؛ وهم بنو هاشمٍ وبنو المطَّلب، جُعِل لهم الخُمُسُ مكانَ الصَّدقةِ، فإنَّها لا تحلُّ لهم، والثّالث لليتامى؛ وهم أطفالُ المسلمينَ الّذين فقدوا آباءَهم، والرّابعُ للمساكينِ الّذين لا يملكون ما يكفيهم ويسدُّ

(1) حديث مرفوع عن أبي هريرة ﷺ، أخرجه أحمد في المسند، رقم: (10416)، وإسناده صحيح.
(2) ابن الأثير، النّهاية: (سبل).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سبل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (قرب).
(5) ابن دُريد، جمهرة اللّغة: (رفق).

حاجتَهم، والخامسُ للمسافرِ الّذي انقطعَت به النَّفقةُ، إن كنتم مقرّينَ بتوحيدِ اللّهِ، مطيعين له، مؤمنين بما أنزلَ على عبدِه محمَّدٍ ﷺ من الآياتِ والمَدَدِ والنَّصرِ، يومَ فرَق بينَ الحقّ والباطل ببدرٍ؛ حينما التقى جَمعُ المؤمنينَ وجَمعُ المشركينَ، واللّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا يُعجِزُه شيءٌ، ولا يمتنعُ عليه شيءٌ أرادَه[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### مناسبةُ الوصلِ بالواوِ في قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾:

الغنيمةُ مَلمَحٌ للانتصار بعد الاستبشار:

لمّا أمرَ اللّهُ المؤمنين بالقتال، في قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: 39]، ناسبَ الوصلَ بالواوِ؛ لمشاركةِ المعطوفِ والمعطوفِ عليه في الطَّلبِ، ولمناسبةِ الجهةِ الجامعةِ بينهما، فالأوّلُ هو أمرٌ بقتالِ المشركين، والثّاني هو أمرٌ بتعلُّمِ قسمةِ الغنائمِ المحصَّلةِ من قتالِ المشركين، ولمّا أعْقَب تقسيمَ الغنائمِ بعد الأمرِ بالقتال؛ كان بمثابةِ البشارةِ بالنّصرِ، فإنَّ الغنائمَ لا تكون إلّا عندَ الغلبة[2].

### نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾:

لا عُذْرَ في انتفاء العلمِ بما يُذكَرُ بعد لفظ (واعلموا)

لمّا كانَت قسمةُ الغنيمةِ وما يتعلَّقُ بها منَ المهمّات الّتي يحتاجُها النّاسُ، ولكي لا يقعَ تنازعٌ بينَهم، افتُتِحَ قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ بفعلِ الأمرِ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ المفيدِ وجوبَ الامتثالِ بتحصيلِه.

ومنَ الفوائدِ اللّغويّةِ للتّعبيرِ به: أوّلًا: الإيذانُ بأنَّ ما سَيُذكَرُ ممّا لاعُذْرَ للمؤمنين في انتفاءِ العلمِ به. وثانيًا: ليبذلِ المؤمنون المخاطَبون الجُهْدَ في تفريغِ أذهانهم؛ لوعيه وتنزيلِه منازلَهُ ورَعيه. وثالثًا: للاهتمام بما يتضمَّنُه مُتعلَّقُ الفعلِ؛ لِحثِّ المخاطَبين على التّأمُّلِ فيما بعدَه. ورابعًا: لِلَفْتِ أذهانِ المخاطَبين إلى ما يُغفَلُ عنه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/553 - 560، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 182.
(2) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 251.

غالبًا من أمرٍ مهمٍّ، ينبغي العلمُ به لما فيه من أثرٍ في حياتِهم. كما أفادَ الأمرُ بـ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ تعليمَ اللّه تعالى المؤمنين قَسْمَ غنائمِهم إذا غَنِموها[1].

**بلاغةُ التّعبيرِ بـ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ بينَ الكنايةِ والمجازِ المُرسَلِ:**

المقصدُ الأسنى ظهورُ ثمرةِ العلمِ بالعمل:

يَحْتَمِلُ الأمرُ بـ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أن يكونَ كنايةً، يُرادُ بها صريحُ العلم ولازمُه[2]؛ والمعنى: طلبُ تعلُّم المؤمنين قسمةَ الغنيمة، وطلبُ العملِ بها، لِما يترتّبُ على العلمِ منَ الانقياد لأمرِ اللّه، والعملِ بشريعته، فتكون الكنايةُ هنا على إرادة المعنيين معًا. ويَحتملُ أن يكونَ اللَّفظُ على معنى المجازِ المُرسَلِ، فإنَّ العلمَ العمليَّ إذا أُمر به لم يُرَدْ منه العلمُ المجرَّدُ؛ لأنَّه مقصودٌ بالعَرَضِ، والمقصودُ بالذّاتِ هو العملُ بقرينةِ السّياقِ، والعلاقةُ هي اللُّزومُ؛ بمعنى: ذَكَرَ الملزومَ وأرادَ اللّازمَ، فالمرادُ هو العلمُ المُضمَّنُ بالعمل، والانقيادُ لأمرِ اللّه تعالى في تقسيمِ الغنيمةِ؛ لأنّ العلمَ بقسمةِ الغنيمةِ يستوي فيه المؤمنُ والكافرُ[3].

**دلالةُ المصدرِ المؤوَّلِ في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾:**

الحثُّ على الامتثالِ بالإجمالِ بتحصينِ المعنى منَ الاحتمالِ

وردَ المصدرُ المؤوَّلُ في موضعينِ في الآيةِ في قولِه: ﴿أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾، وقولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾؛ لاقتضاءِ المقامِ تحصينَ المعنى منَ الإشكالِ والاحتمالِ الّذي يقترنُ بالمصدرِ الصَّريحِ، وتخليصَه من شوائبِ الإجمالِ، وللإيذانِ بأنَّ المرادَ حقيقةُ الغُنْمِ، وحقيقةُ استحقاقِ اللّه، وما عُطِفَ عليه الخُمُسُ من غيرِ أيِّ وصفٍ، أو هيئةٍ، أو كيفيّةٍ مصاحبةٍ للغُنْمِ أو لاستحقاقِ الخُمسِ، أي: سواءً أكانَ الغُنْمُ بجُهدٍ كثيرٍ أو قليلٍ، أو بضَررٍ كبيرٍ أو صغيرٍ؛ حثًّا على الامتثالِ بالإجمالِ المقصودِ في الأذهانِ[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/283، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/314.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/5.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/211، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/60.
(4) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/92 - 93.

**نكتةُ مجيءِ المفعولِ مصدرًا مُؤوَّلًا في قولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾:**

تأكيدُ وجوبِ العملِ بقسمةِ الغنيمةِ، منَ الأحكامِ الحكيمة

لمّا كانَ المصدرُ المؤوَّلُ ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ سدَّ مسدَّ مفعولَي ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾، وسُلِك فيه تكرارُ الإسنادِ في موضعَي المصدرِ المؤوَّلِ؛ أفادَ ذلكَ تقوّيَ الحكمِ وتقريرَه، فهو على معنى تأكيدِ وجوبِ العملِ به[1]. ولفظُ (ما) في قوله تعالى هي اسمٌ موصولٌ بمعنى (الّذي)، والمصدرُ المنسبِكُ من أنّ وما بعدها مفعولٌ لـ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾؛ أي: "اعلموا كونَ الّذي غَنِمتُموه: خُمسه لله ولرسوله، إلى آخر النّصِّ الكريم"[2].

**دلالةُ تَكرار ﴿أَنَّمَا﴾ التَّوكيديَّة:**

تأكيدُ المعنى وتقريرُه في نفوسِ المخاطَبين من مألوفِ السّياقِ القرآنيّ

أفادَت ﴿أَنَّمَا﴾ – في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ – تأكيدَ الإسنادِ وتقريرَه؛ لتقويةِ المعنى وتثبيتِه في نفوسِ المخاطَبين، والقاعدةُ أنْ "توصلَ (ما) مع (أنّ)، إذا كانت كافّةً عنِ العمل، وتُفصلَ كما هنا إذا كانت عاملةً، وجملة ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ صلةٌ، والعائدُ محذوفٌ، والتّقديرُ: أنّ الّذي غنمتُموه ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ مُطلَقُ شيءٍ بدليل التّنوين: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾"[3]، وكذلك للمُستحقّين كما هو ترتيبُهم في الآية.

**مناسبةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول ﴿أَنَّمَا﴾:**

الغنيمةُ توجِبُ استحقاقَ الأصنافِ الخمسةِ الخُمُسَ

الظّاهرُ أنّ ﴿أَنَّمَا﴾ في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ موصولةٌ بمعنى الّذي[4]، ومناسبةُ التّعبيرِ بالاسم الموصول بيانُ وجهِ بناءِ الخبرِ عليه؛ أي: لأنّكم غنمتم، فاستحقَّ الأصنافُ المذكورة الخمُسَ، وفيه إشعارٌ بتوجيهِ أذهانِ المخاطَبينَ إلى ما سيخبرُ به من قسمةِ الغنيمةِ

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/83.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3130.
(3) عبد القادر العاني، بيان المعاني: 5/292.
(4) السّمين الحلبيّ، الدُّرّ المصون: 5/605.

لينتظروا ورودَه إليهم، حتَّى يأخذَ منهم مكانَه إذا ورد[1]، ومعلومٌ "أنّ المسلمين قد اختلفوا في شأن هذه الأنفال، فكان أنِ انتزعَها اللّهُ من أيديهم، ووضعها في يد الرّسول، ليضعَها حيث يرى"[2].

### نكتةُ التّعبير بـ(ما):

لفظ (مـا) أعـمُّ من لفظ (الّذي) في استعماله في السّياق

عَبَّرَ بـ(ما) دونَ (الّذي) في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾؛ لأنَّ (ما) أعمُّ منَ الّذي، والسّياقُ يقتضي العمومَ؛ ليتناولَ كلَّ ما يكونُ مَغْنمًا، وإن كانَ قليلًا كما سيأتي، والعِبرةُ ليسَت في قلّة الغنائم أو كثرتِها، بل في نصر اللّهِ وتأييده لعباده المؤمنين من جهة، وفي براءة ذمّةِ المنتصرين منَ الغُلول الماحقِ والتّنازعِ السّاحقِ من جهة أخرى، إذ ماحصّلوه من غنيمةٍ مهما كان، فهو متاعُ الحياةِ الدّنيا الزّائل، وما عند اللّه خيرٌ للأبرار.

### نكتةُ التّعبيرِ بلفظ ﴿غَنِمْتُم﴾:

الغنيمةُ مِنَّةٌ لله تعالى على المؤمنين؛ تتويجًا للنّصر المبين

عَبَّرَ بـ﴿غَنِمْتُم﴾ في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ دونَ (ظَفِرتُم) مثلًا؛ للإشعار بأنَّ القسمةَ المذكورةَ مختصَّةٌ بما ظُفِرَ به من مالِ المشركين بغلبةٍ أو قهرٍ، وبأنَّه من توابعِ النَّصرِ؛ لإفادة أنَّ الغنيمةَ منَّةٌ للّه تعالى على المؤمنين، و"(غَنِمَ) يدلُّ على إفادة شيءٍ لم يُملكْ من قبل، ثمّ يختصُّ به ما أُخِذَ من مال المشركين بقهرٍ وغلبةٍ"[3].

### سببُ إيثارِ حذفِ العائدِ في قوله: ﴿غَنِمْتُم﴾:

غـرضُ حـذفِ العائدِ الإيجازُ، وهو من صميم الكلامِ البليغِ

حُذِفَ العائدُ للإيجاز، وهو منَ البيان في موضعِه، ولو ذُكِرَ فقيل: (غنمتموه) لاستطالتِ الكلمةُ من غيرِ فائدةٍ، ولتخصَّصَ المَغنمُ، مع أنَّ المقامَ مقامُ تعميمٍ كما تقدّم، وكلُّ ما وضعَ عليه المنتصرون أيديهم، مهما غَلا وعَلا، فهو محسوبٌ منَ الغنيمة،

(1) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 182.
(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/612.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غنم).

وعدمُ تخصيصِه هو فتحٌ لمجال الحصرِ للغنيمة، وعدمُ تقييدٍ له بأشياء دون أشياء، علمًا بأنّ الغنيمةَ كثيرًا ما تهفو لها قلوبُ القادةِ والجندِ، مع أنّها ليست غايةً في الجهاد، ولا مُدرَجةً في النّوايا، ولا واردةً في المقاصد، ولكنّها نتيجةٌ لا غايةٌ، ووسيلةٌ لا هدفٌ.

### نكتةُ التّعبيرِ بلفظ ﴿شَيْءٍ﴾:

كـلُّ ما يُحصَّلُ من غنيمةٍ، هو فيوضاتُ عطاءٍ كريمةٌ

لمّا كانَ لفظُ شيءٍ في قوله: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ مِن ألفاظِ المعاني الّتي تُطلَقُ على كلِّ ما يُطلَقُ عليه اسمُ شيءٍ، أو على كلِّ ما يصِحُّ الإخبارُ عنه منَ المخلوقاتِ في هذا السّياقِ، وكان (ما) فيه معنى الشّرطِ ورائِحَتُهُ، دلَّ التّعبيرُ على عموم ما يُطلَقُ عليه شيءٌ؛ ليشملَ الحقيرَ والجليلَ، والصَّغيرَ والكبيرَ؛ لئلّا يُتوهَّمَ أنَّ المقصودَ غنيمةٌ معيَّنةٌ خاصَّةٌ[1].

### دلالةُ الحالِ في الجارّ والمجرورِ ﴿مِّن شَيْءٍ﴾:

تقسيمُ الغنائمِ شـرعٌ مُؤسَّسٌ يذهبُ بسَخائِمِ الأنفُسِ

لمّا كان الجارُّ والمجرورُ ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ في محلِّ نصبٍ على الحالِ منَ الضَّميرِ المحذوفِ، في قوله: ﴿غَنِمْتُم﴾[2]، بتقدير: غنمتُموه، دلَّ على معنى: كائنًا ما كان ذلك الشَّيءُ قليلًا أو كثيرًا، وفي ذلك ترشيدٌ لأهواء النّفوسِ، وكَفْكَفةٌ للمطامعِ والمطامحِ المعهودةِ، وذلك لونٌ منَ الجهاد الأكبر، وهو جهادُ النّفسِ، حتّى لا تدخل الأنفسُ في مماحكاتٍ دنيئةٍ، ومشاكساتٍ وضيعةٍ، تعصفُ بالأجور، وتُحبطُ الأعمالَ، وتُسهمُ في تَذْكيَةِ الصّراع الماديِّ المسعورِ، ممّا تشهدُه الانتصاراتُ عادةً، في كلّ زمانٍ، وفي كلّ مكانٍ.

### نكتةُ مجيءِ الفاء في ﴿فَأَنَّ﴾:

تـوسّـعُ المعنى لتكثيرِ الفائدة من بلاغة القرآنِ الزّائدةِ

أفادَ مجيءُ الفاءِ في حَيِّز الخبرِ في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ تأكيدَ تضمينِ الاسمِ الموصول (ما) معنى الاشتراطِ؛

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/211، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 3/219، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/7.

(2) السّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 5/606، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/3.

ليكونَ الخبرُ على معنى المجازاةِ، والتَّقديرُ: إنْ غنمتُم فحَقٌّ للّهِ خُمُسُه، فيكون الكلامُ مُضمَّنًا معنيين: أحدُهما الإخبارُ؛ ليفيدَ الثّبوتَ، والثّاني: الاشتراطُ؛ ليفيدَ أنَّ الحصولَ على الغنيمة سببٌ للقسمةِ، وللإشعارِ باقترانِ مفهومِ القسمةِ بالحصولِ على الغنيمةِ، لِما يفيدُه معنى الشّرط[1].

### دلالةُ اللّامِ في قولِه تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾:

اختصاصُ الخُمُسِ بالأصنافِ المذكورة، وفْقًا لأحكامِها الفقهيّة المأثورة

تفيدُ اللّامُ في قولِه تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الاستحقاقَ، وهو الظّاهرُ، والمعنى أنَّ الخُمسَ مُستحقٌّ للّه، ويُشعِرُ الاستحقاقُ بمعنى الاختصاص، فإنَّ مَنِ استحقَّ شيئًا فقد حصلَ له به نوعُ اختصاصٍ[2]، وهذا منَ المعاني الّتي كانت سببًا في إفرادِ الاسمِ الجليلِ وتقديمِه، وأجازَ بعضُ المفسّرينَ أن تكونَ للمُلكِ[3]. و"أكثرُ المُفَسّرين على أنّ قَولَه: ﴿لِلَّهِ﴾ افتتاحُ كلامٍ، وليسَ للّه سهمٌ مُنفَردٌ؛ بل سهمُ اللّه وسَهمُ الرَّسول واحدٌ. وفيه قَولٌ آخر: أنّ للّه سَهْمًا يُصرَفُ إلى الكَعبَة، وقد رويَ أنّ الحسنَ بن مُحَمَّد بن الحَنَفيَّة سُئِلَ عَن هذه الآيَة فقال: قَولُه ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ افتتاحُ كلامٍ، للّه الدُّنيا والآخِرَة"[4].

### مناسبةُ إفرادِ اسمِ اللهِ في المعاطيف:

رَضِيَ منَ المؤمنين بالخُمُسِ فسمّاه لنفسِه، وردَّهُ عليهم

أفردَ النَّظْمُ الكريمُ اسمَ اللّهِ تعالى، في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾، ولم يقلْ: (للّهِ وللرَّسولِ خُمُسَهُ)؛ بل قال: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾؛ لتعظيمِ الأمرِ وتفخيمِه، وللإيذانِ بأنَّ الاستحقاقَ للّهِ أوَّلًا وبالذّاتِ، وأنَّ الدّنيا كلّها للّه، وللإشعارِ بمنَّةِ اللّه على المؤمنين، إذ رضي منكم بالخُمُسِ فسمّاه لنفسِه، وردَّه عليكم[5]، وهو ما يُلمَحُ في

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 5/605، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/7.
(2) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 96.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/8.
(4) السّمعانيّ، تفسير القرآن: 2/265.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/60، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/238.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النّور: 33]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7].

### سرُّ عطفِ الرّسولِ الأكرمِ على الاسمِ الأعظمِ:

الامتثالُ للرّسولِ المُجتبَى امتثالٌ لأمرِ الله الأعلى

لمّا تقرّرَ أنَّ الخُمُسَ للرّسول ﷺ كانَ عطفُ الرَّسولِ على الاسمِ الجليل في قوله: ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾؛ إيذانًا بأنَّ ما يكون للرَّسول فهو للّهِ، فإنَّ قِسْمَ اللّهِ وقسمَ الرَّسولِ واحدٌ؛ تحضيضًا للامتثال لأمرِ الرَّسولِ المبلِّغ عنِ اللّه، ومثله قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التّوبة: 62][1]، وقولُه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّـهَ﴾ [النّساء: 80]، وارتباطُ طاعةِ اللّه وحقوقِه بطاعةِ الرّسولِ وحقوقِه محضُ تكريمٍ وتفخيمٍ لمقامِ النّبوّة السّامي.

### بلاغةُ حذفِ الخبرِ في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾:

لا سبيلَ إلى الإخلالِ بالخُمُسِ والتّفريطِ فيه، مهما كانتِ الأسباب

المصدرُ المؤوَّل: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ؛ لتقويةِ معنى الوجوبِ، واستحقاقِه للّه تعالى، وبيانُه أنَّه لمّا كانَ المرادُ تثبيتَ معنى أحقيَّةِ الخُمُسِ للّه تعالى ووجوبِه؛ لم يكتفِ باقترانِ الاسمِ الجليلِ بلامِ الاستحقاقِ، فكانَ الإتيانُ بـ﴿فَأَنَّ﴾ على معنى تكريرِ الإسنادِ؛ تأكيدًا للمعنى. كما أنَّ الخبرَ إذا حُذِفَ واحْتَمَلَ غيرَ واحدٍ منَ التّقديراتِ، ممّا هو في المعنى نفسِه، مثلَ: ثابت أو واجب أو حقّ أو لازم، وما أشبه ذلك، كان أقوى؛ لإيجابه منَ النّصِّ على واحدٍ، فلمّا حُذِفَ الخبرُ، واقتضى المقامُ أن لا يقدّرَ إلّا ما يفيدُ الوجوبَ بعباراتٍ مُتعدّدةٍ، دلَّ على التّعميم الّذي يفيدُ تأكيدَ الوجوبِ، وتفخيمَ شأنِ القسمةِ، وتهويلَ تركِ الامتثالِ بها. وتقديرُ الكلامِ: فحقٌّ أو فواجبٌ أنَّ للّه خُمُسًا؛ أي: فلا بدَّ من ثبات الخُمسِ فيه، لا سبيلَ إلى الإخلال به والتّفريط فيه[2].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/60، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/323، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/238.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/221، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 7/103، وابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/82، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/8.

### مناسبةُ البَدْءِ بالاسم الجليلِ في سياق القِسمة:

غـرضُ توكيلِ صرفِ الخُمُسِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ

لمّا قال اللّهُ تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ آذنَ بأنَّ الابتداءَ باسمِ اللّهِ تعالى؛ للإشارةِ إلى أنَّ ذلك الخمسَ حقُّ اللّه، يصرفُه حيثُ يشاءُ، وقد شاءَ فوَكَلَ صَرْفَهُ إلى رسولِه[1] ﷺ، كان له خمسُ الخُمس يصنعُ فيه ما يشاء، واليوم يُصرَفُ إلى مصالح المسلمين[2].

ولا شكّ أنّ المؤتَمنَ على صرف الخُمسِ إلى مصارفه الشّرعيّة، وقسمتِه على مستحقّيه؛ هو النّبيُّ الأمينُ، باعتباره المبلِّغَ عنِ اللّه، وحامي حمى الشّريعةِ، والقائمَ للّه بأمره، وفي ذلك دلالةٌ على حساسيّة هذه المهمّة وأهميّتِها.

### سرُّ التّعبيرِ في آية الخُمس:

براعـةُ نظـمِ القـرآن وحسنُ تـألـيـفـه من صميم بلاغته الرّاقية

من براعة نظم الآيةِ، أنّ قوله تعالى: ﴿*وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ هو بمثابة جملةٍ واحدةٍ، تعلّقَ أوّلُها بآخرِها، مع تكرُّرِ الإسنادِ وتعلّقِ الشّرطِ في قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ﴾ بما قبله، في تآلفٍ في النّظمِ عجيب.

### نكتةُ تتابُعِ التّأكيداتِ في آية الخُمس:

تَتابُعُ التّأكيداتِ لتجنُّبِ التّنازعِ على الغنيمة، بحسم الأمر ابتداءً

توالت تأكيداتٌ عدَّةٌ في قوله: ﴿*وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾، ومن شأنِها أن تبعثَ في النّفوسِ تقوى اللّهِ تعالى في أمرِ المكاسبِ الدُّنيويّة، فقد أمرَت بالعلم، ودلَّت على فائدة الخبرِ ولازمِها، وجاءَتِ على أسلوب الجملة الاسميّةِ بما تفيدُه من ثبوتِ المعنى، وتكرّرت (أنّ) الّتي تفيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملة، وكان الشّرطُ على معنى التّكرير؛ لتقدُّمِ ما يدلُّ على الجواب عليه، كما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/8.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/8.

أفادَ تقدّمُ المسنَدِ على المسنَدِ إليه في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ تأكيدًا آخرَ، فتتابعتِ المؤكِّداتُ كي لا تبقى في النّفوس أيُّ رغبةٍ في التّدافُعِ نحوَ الغنيمةِ والتّنازعِ.

### دلالةُ (أل) في لفظ (الرَّسولِ):

رُسّيَت أحكامُ الغنائمِ على أمانةِ الرّسولِ وقدوتِه

(أل) في قوله: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ عهديَّةٌ؛ أي: الرَّسولُ الّذي تعرفونه، فأشْعَرَ مجيءُ (أل) العهديّة بقُربه منهم؛ حثًّا على الامتثالِ ورعايةً لِحقِّ الرّسالةِ، وقد كان ذلك التّخصيصُ تكريمًا لمقام النّبوّة المستَحِقَّة، لما تقتضيه أعباءُ البلاغِ في بيئةٍ نافرةٍ منكِرَةٍ، ومُتَطلَّباتٍ لتأسيسِ مجتمعِ الأنصارِ والمهاجرةِ، وعليه حُدِّدَ سهمُ الرّسول ﷺ، "فقد كان له الخُمسُ من خُمُسِ الغنيمةِ، فيصرِفُهُ في كفايةِ أولادِه ونسائِه، ويَدَّخِرُ من ذلك قوتَ سنةٍ، وما يَفضُلُ يصرفُه إلى الكُراعِ والسّلاحِ وغيرِ ذلك منَ المصالح، وقال الشّعبيّ: ما كان رسولُ اللّه ﷺ يطلبُ منَ الغنائمِ لنفسه شيئًا قطّ إلّا الصَّفيَّ منَ المَغنَمِ، وهو ما كان يتناولُه من عبدٍ أو أمَةٍ أو فرسٍ"[1].

### سرُّ إعادةِ اللّام دون عطفِها في قولِه: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾:

تأكيدُ العنايةِ بذي قُربى رسولِ اللهِ ﷺ

لمّا كانت اللّام في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاقِ كما تقدّم، ومثلُها في ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾، أفادَ إعادةُ اللّام في ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ دونَ غيرِهم منَ الأصنافِ الباقيةِ، دفْعَ توهُّمِ اشتراكِهم في سهمِ النّبيِّ ﷺ؛ لمزيدِ اتِّصالِهم به، ولِلاهتمامِ والعنايةِ بهم[2].

### دلالة (أل) في قوله: ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾:

إكرامُ ذوي القربى لأجلِ قرابتِهم من رسولِ الله ﷺ

لمّا كانَت لامُ الاستحقاقِ مفيدةً اتّصالَ ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بالرّسولِ كانت (أل) في القُربى عِوضًا عن مضافٍ إليه مقرّرٍ للاتّصال، والتّقدير: لذي قربى المُؤتي المالَ، وهو الرَّسولُ المذكورُ قبلَه، والمعنى:

(1) الكيا الهرّاسيّ، أحكام القرآن: 3/158.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/4.

ولذوي قربى الرَّسول؛ أي: قرابته، ففيه إيذانٌ بأنَّ إكرامَهم لأجلِ صلةِ القرابةِ برسولِ اللّهِ ﷺ، ولأنَّ اللّه حرَّمَ عليهم أخذَ الصَّدقاتِ والزَّكاةِ، فلا جَرَمَ أنَّهُ أغناهم من مالِ اللّهِ[1].

وقال القرطبيُّ: إنّ اللّامَ لبيان المصرفِ والمحلِّ[2]، وإكرامُهم بسبب القربى من رسول اللّه واردٌ بجلاءٍ في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشّورى: 23]، وفي الحديث: «لا يُحبُّهُم إلّا مُؤمنٌ، ولا يُبغضُهُم إلّا منافقٌ، مَن أحبَّهم أحبَّه اللّه، ومَن أبغضَهم أبغضَه اللّه»[3]، وقد أُثِرَ عنِ الصّدّيق رضي الله عنه أنّه قال: (والّذي نَفسي بيَدِه لَقَرابَةُ رَسولِ اللّه ﷺ أحَبُّ إليَّ أن أصِلَ مِن قَرابَتي)[4]. وقد أجمعَ العلماءُ على أنّه من تمامِ محبّةِ النّبيِّ ﷺ محبّةُ آله، ومعلومٌ أنّ القرآنَ يحثُّ على إكرام القرابة عمومًا، وهم أولو الأرحام، وصلةُ رحمِ النّبيِّ أولى بالإكرام، وفي هذا المضمار يقول الشّافعيّ[5]:

يا آلَ بَيتِ رَسولِ اللّهِ حُبَّكُمُ *** فرضٌ مِنَ اللّهِ في القُرآنِ أنزَلَهُ

يَكفيكُمُ مِن عَظيمِ الفَخرِ أنَّكُمُ *** مَن لَم يُصَلِّ عليكُم لا صَلاةَ لَهُ

### بلاغةُ التَّراكيبِ في آية الخُمس:

الغنيمةُ كلُّها لله، وتقسيمُها مِنَّةٌ منَ الله على المؤمنين

جاء قولُه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ في تأليفٍ بديعٍ ونظمٍ بليغٍ عجيبٍ، وبيانُه أنّه أفردَ كينونةَ الخُمُسِ للّهِ، وفَصَلَ بينَ اسمِه تعالى وبين المعاطيف، بقوله: ﴿خُمُسَهُۥ﴾؛ ليَظْهَرَ استئثاره تعالى بكَينونَةِ الخُمسِ له، ثمّ أشرَكَ المعاطيفَ معه على سبيلِ التَّبعيّةِ له؛ للإشعارِ بأنَّ الأمرَ كلَّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/9.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/11.
(3) البخاريّ، الجامع الصحيح، برقم: (3572).
(4) البخاريّ، الجامع الصحيح، برقم: (3508).
(5) حسين بن محمّد المهديّ، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: 1/438.

للّهِ، فالمعاطيفُ من جهةِ أنَّها توابعُ يكون موضعُها التَّقديمَ؛ لتقدُّمِ المعطوفِ عليه؛ ليفيدَ التّقديمُ التّخصيصَ والاهتمامَ بالقسمةِ، ومن جهة فصلِها بـ﴿خُمُسَهُۥ﴾ يكون موضعُها التّأخيرَ؛ للإشعارِ بأنّ الغنائمَ كلَّها للّهِ، ولهذا لم يأتِ التَّركيبُ على ما هو مقتضى الظّاهر، بأن يُقال: (فأنّ للّهِ وللرَّسولِ ولذي القُربى واليتامى والمساكين وابنِ السَّبيل خمُسَه)[1].

**دلالةُ (أل) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾:**

اليتامى والمساكين محلُّ الشَّفقة، ومناطُ العنايةِ والمؤازرة

(أل) في اللَّفظين جنسيَّةٌ؛ للإشعارِ بأنَّ النَّصيبَ المذكورَ ليس لأفرادٍ معيّنين بل لكلِّ مَن له وصفٌ من حقيقةِ اللَّفظين المذكورَين؛ لإفادةِ العمومِ، وهؤلاء هم أجدرُ النّاسِ بالعطاء، وقد حثّ اللّهُ على القسمة لهم وإغنائهم، لما يحتاجون إليه من دعمٍ وإعانةٍ، على اعتبار أنّهم جزءٌ منَ المجتمع، وأنّ الدّولةَ تُخصّصُ لهم من مداخيلها ما يُغنيهم عن ذلّ السّؤالِ، ما داموا في ظلّ الإسلام، أخذًا بمبدأ التّكافلِ العامِّ، وحِفظًا لكرامة الإنسانِ في مجتمع الإيمان.

**نكتةُ مجيءِ ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ بصيغةِ الجمعِ:**

كثرةُ اليتامى والمساكين توجبُ إعطاءَهُم قِسمَتَهم منَ الخُمُسِ

جاءَ اللَّفظانِ بصيغة الجمعِ؛ لِما في الجمعِ من معنى الكثرةِ؛ لِتهتزَّ قلوبُ المؤمنين لهم، ويرغبوا في إعطائِهم، فيكونوا ممتثلين لأمرِ اللّه بإعطائهم قسمتَهم منَ الغنيمةِ عن رضًا ورغبةٍ، والاستحقاقُ كان لهاته الفئات لما يعانون من غَبْنٍ وخَصاصَةٍ، وقد تكفّلَ الشّرعُ بتقسيم الغنائم تفاديًا للصّراع المادّيِّ المسعورِ، ممّا يقعُ عادةً عند انتصارِ الجيوشِ، وصراع القادةِ والجندِ؛ لتحصيل المنافعِ الدّنيويّةِ المغْرِيَةِ، وهو أمرٌ حَسَمَه السّياقُ القرآنيُّ بحزمٍ ودقّةٍ، مُلتفتًا إلى الفئات المسحوقة منَ اليتامى المغبونين، والمساكين المعوزين؛ لضمان الكفايةِ، والتّخفيفِ من ضغط الحياةِ، ولأْواءِ العَوَزِ.

(1) أبوحيّان، البحر المحيط: 5/326.

### بلاغةُ ترتيب المستحقين في آية الخُمس:

اليتامى أشدُّ عَوَزًا من المساكين؛ لزيادة فقْدِ العائل، وانكسارِهم باليُتْم

لمّا كانَتِ القرابةُ مُقدَّمةً شرعًا وعُرفًا، وكان اقترانُ ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بلفظ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ فيه بيانُ اتّصالِهم برسول الله، قُدِّمَ لفظُ ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ على غيرِه، ولمّا كان اليتيمُ أشدَّ عَوَزًا منَ المسكين غالبًا، والقلوبُ بفطرتِها تميلُ إلى إعطائه، قُدِّمَ على المسكين، وكلُّهم يُقدَّمُ على ابن السّبيل.

ولهذا التّرتيبِ نظائرُ في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: 7]، وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ [البقرة: 177]، وقوله: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّساء: 36].

### نكتةُ الإفرادِ في ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

أفردَ ابنُ السَّبيلِ؛ لانفرادِه عن أحبابِه ووطنِه وأصحابِه

لم يُذكرِ ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ في القرآنِ الكريم إلّا بحالةِ الإفراد دونَ الجمعِ، فلم يقُلْ: (أبناء السّبيل)، مع أنّه في أكثر المواضع كان يُعطَفُ على الجمعِ، وكأنَّ إفرادَه لانفراده عن أحبابِه ووطنِه وأصحابِه، فهو أبدًا يتوقُ إلى الجمعِ، ويشتاقُ إلى الرَّبعِ، والكريمُ يحِنُّ إلى وطنه حنينَ الشّارف إلى عَطَنِه. أو لأنَّه لمّا لم يكنْ بين أبناءِ السَّبيلِ والمعطي تعارفٌ غالبًا، يُهوِّنُ أمرَ الإعطاء، ويرغِّبُ فيه، أفردَهم؛ ليهونَ أمرُ إعطائِهم، وليشيرَ إلى أنَّهم - وإنْ كانوا جمعًا - ينبغي أن يُعتَبَروا كنفسٍ واحدةٍ، فلا يَضْجَرُ من إعطائِهم لِعدمِ معرفتِهم وبُعْدِ منفعَتِهم[1].

الاهتمامُ بترتيبِ القسمةِ مِن عدلِ القرآنِ والحكمةِ

### سرُّ جمعِ اليتامى والمساكين، وإفرادِ ابن السَّبيل:

لمّا كان اليتامى والمساكين أكثرَ من ابنِ السَّبيل باعتبارِ الوجودِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 2/70 - 71.

الخارجيِّ؛ قُدِّمَ الكثيرُ على القليل في القسمةِ، وللإشعارِ بأهمّيّة ترتيبِ القسمةِ بينهم[1].

### نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿إن﴾ الشَّرطيَّة:

تقسيمُ الغنيمةِ دالٌّ على كمالِ الإيمانِ، وتنفيذِ أحكامِ الرّحمن

لمّا كانَت (إنْ) تُسْلَكُ فيما يُشكُّ فيه؛ لندرةِ وقوعِه أو لصعوبتِه، كان الإتيانُ بـ﴿إن﴾ هنا في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ على خلافِ مقتضى الظّاهر؛ لأنَّ المخاطَبين مؤمنون، ومناسبةُ مجيء الكلامِ على خلافِ مقتضى الظّاهر، هو الإشعارُ بثقلِ تحقُّقِ الجزاءِ وصعوبتِه على النّفسِ، لِما فيه منَ التّخلّي عنِ المالِ - الّذي يتحصَّلُ بمشقَّةٍ وكربٍ - للّه ولرسولِه، فلمّا كانت (إن) تُستعمَلُ لِما يندرُ وقوعُه؛ أفاد الإتيانُ بها تعظيمَ شأنِ إيمانِهم، عندَ امتثالِهم للّه ولرسولِه ﷺ، كما يَحتمِلُ أن يكون المعنى: (إنْ كنتم مؤمنين حقًّا)؛ ليكونَ تقسيمُ الغنيمةِ دالًّا على كمالِ الإيمانِ.

### بلاغةُ حذفِ جوابِ الشّرطِ:

حُـذِفَ جـوابُ الـشّـرطِ لتأكيدِ الامتثال لقسمةِ الغنيمةِ

جاء النَّظمُ الكريمُ في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ على هيئة الجملةِ الشّرطيّةِ الّتي حُذِفَ جوابُها؛ ليفيدَ تأكيدَ المعنى وتقريرَه، وكأنّ جوابَ الشّرطِ قد تكرَّر؛ لتعلُّقِ الشّرطِ بجوابٍ محذوفٍ يدلُّ عليه ﴿* وَٱعْلَمُوٓاْ﴾؛ والمعنى: "إنْ كنتم آمنتم باللّه وما أنزلنا على عبدنا يومَ الفرقانِ، يومَ التقى الجمعانِ، فاعلموا أنّه تعالى جَعَلَ الخُمُسَ لهؤلاء، فيجبُ التّقرّبُ به، فانقادوا وسلِّموا لأمرِ اللّه فيما أعلمكم به من حال قسمةِ الغنيمةِ، وسلِّموا الخُمُسَ إليهم، واقتَنِعوا بالأخماس الأربعة الباقية"[2]. وأفادَ هذا الأسلوبُ تحفيزَ السّامعين وتنشيطَهم لِلمبادرة إلى الامتثالِ، فيما يُتصوَّرُ فيه مشقَّةٌ على النّفسِ.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/516.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/211، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/531، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/60.

### مناسبةُ التَّعبيرِ بـ(ما) وصلته:

تعظيمُ شأنِ الآياتِ المنزّلةِ يومَ الفرقانِ مَلمحٌ في البيان

لمّا كان الاسمُ الموصول (ما) أعمَّ منَ (الّذي) دلَّ التَّعبيرُ به في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ على تعظيمِ النَّصرِ الّذي أنزله اللّهُ يومَ بدرٍ على نبيِّه ﷺ وأصحابِه وظهورِه، فالمنزَّلُ يومَ بدرٍ آياتٌ عظيمةٌ باهرةٌ، ولتأكيدِ هذا العمومِ وتفخيمِه حُذِفَت صلةُ الموصولِ، والتّقدير: إن كنتم آمنتُم باللّه وبما أنزلناه[1]. والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾؛ "أي: وآمنتُم بما أنزلنا على عبدنا محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، من آياتِ التّثبيتِ والمَدَدِ، يَومَ الفُرقانِ الّذي فرَقْنا فيه بين الكفر والإيمان"[2].

### بلاغةُ أسلوبِ الالتفاتِ:

على قدرِ عظمةِ المُـنـزِلِ تكـون عظمةُ المُنزَل

في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ التفاتٌ، فلم يَقُل: (وما أنزلَ على عبدِه) بعد قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾، فعَدَلَ عن ضمير الغَيْبةِ إلى (نا) الّتي تفيدُ تعظيمَ المتكلِّم، ولوَّنَ الخطابَ للإشعارِ بتعظيم الآياتِ المنزَّلةِ، فالعظيمُ لا ينزِّلُ إلّا آياتٍ عظيمةً.

كما أنَّ في الالتفاتِ عنايةً بالمُنزَّلِ والمُنزَّلِ عليه، واستدرارًا لإصغاءِ السّامعين لِعظَمِ شأنِ الخبرِ.

### نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿أَنزَلۡنَا﴾:

علّةُ نزولِ الآياتِ يومَ بدرٍ، بسرعةٍ وتدفّقٍ عجيبٍ

أفادَ التّعبيرُ بالفعل ﴿أَنزَلۡنَا﴾ أنَّ نزولَ الآيات يومَ بدرٍ كان دفعةً واحدةً، وكان إنزالًا سريعًا لأجلِ التَّفريجِ عنكم منَ القرآنِ، والجنودِ، والسَّكينةِ في قلوبِكم، وغير ذلك، وأشعرَ اللّفظُ برفعةِ المنزَّلِ؛ لأنَّ الإنزالَ منَ السّماء. وقولُه: "﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ عطفٌ على الاسم الجليل؛ أي: إن كنتم آمنتم باللّه وبما أنزلناه"[3]؛ "أي: إن كان إيمانُكم باللّه،

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/531، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/23.
(2) الأبياريّ، الموسوعة القرآنيّة: 9/562.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/23.

وبالحقّ الّذي أنزله اللّهُ على رسوله يومَ الفرقان، الّذي حصلَ فيه منَ الآيات والبراهين، ما دلّ على أنّ ما جاء به هو الحقّ"[1].

**دلالةُ الحرفِ ﴿عَلَىٰ﴾:**

غـرضُ السّياق تشريفُ رسولِ الـلـه ﷺ وتكريمُه

أفادَ التّعبيرُ بحرفِ الاستعلاء في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ تمكُّنَ الآياتِ المنزّلةِ من رسولِ اللّهِ ﷺ، وكأنَّها أظلَّته استيعابًا، تشريفًا له ﷺ وتكريمًا، وفيه التّنويهُ بالرّسول المنزَّلِ عليه القرآن، ومختلف معجزات التّأييدِ والنّصرِ له في غزوة بدرٍ؛ للتّذكير بأنّ "ما أسداهُ إليكم يومَ بدرٍ، لم يكن جاريًا على مُتعارَفِ الأسبابِ المُعتادَةِ، فقُدرةُ اللّه قلبَتِ الأحوالَ، وأنشأتِ الأشياءَ من غيرِ مَجاريها. ولا يَبعُدُ أن يكونَ من سببِ تَسميَةِ ذلكَ اليوم يومَ الفرقانِ، أنّه أُضيفَ إلى الفرقانِ الّذي هو لَقَبُ القرآنِ، فإنّ المشهورَ أنّ ابتداءَ نزولِ القرآنِ كان يومَ سبعةَ عشَرَ من رمضانَ، فيكونُ مِن استعمالِ المُشترَكِ في مَعنَيَيهِ"[2].

**بلاغةُ التّعبيرِ في قوله: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾:**

إبـــرازُ مـقـامِ الـــرّســـولِ الأعظمِ، بوصف العبوديّةِ الأكرم

في وصفِ رسولِ اللّه بكونه عبدًا للّه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ تشريفٌ لمقامه ﷺ، فهو أعلى مقامٍ يمكن أن يصلَ إليه بشرٌ، ولم يوصَف به رسولُ اللّهِ ﷺ في القرآن إلّا في سياقِ الخصوصيّة، فدَلَّ على أنَّ إنزالَ الآياتِ لخصوصيّةِ رسولِ اللّهِ ﷺ، كما أنَّ إضافتَه إلى ضميرِ العظمةِ زيادةٌ في تشريفِه ورفعةِ مقامِه. ولمّا خصَّ الإنزالَ على رسولِه، ولم يقُل: (وما أنزلنا عليكم) أفادَ أنَّ سببَ إنزالِ الآياتِ وحصولِ الغُنْمِ والنّصرِ أمران: إيمانُهم باللّه ووجودُ رسولِ اللّه بينهم؛ تكريمًا له ﷺ، وتشريفًا، وبيانًا لمقامِه العظيمِ عند اللّه تعالى.

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 321.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/15.

### مناسبةُ العطفِ في الشّرط:

الإيذانُ بتحقُّقِ الإيمان، بالامتثالِ في قسمةِ الغنيمةِ لأمر الله

أشعرَ العطفُ في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أنَّ التّقديرَ: (إنْ كُنتُم آمنتُم باللهِ، وآمَنتُم بما أنزلنا على عَبدنا)، فالمعطوفُ عليه وهو الإيمانُ باللّه سببٌ لتحقُّقِ المعطوف وهو الإيمانُ بما أنزلَ اللّهُ على رسولِه؛ للإيذانِ أنَّه لا يتصوَّرُ وجودُ المعطوفِ دونَ المعطوف عليه، وأنَّ المعطوفَ بسببٍ منَ المعطوف عليه، وليكون مجموعُ قوله: ﴿كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ شرطًا، كما أنَّ في العطفِ ما لا يخفى منَ التَّشريف والتَّعظيم[1]؛ لتعلُّقِ الإيمانِ بالآياتِ المنزَّلةِ يومَ بدرٍ على رسولِ اللّه ﷺ، مع أنَّ الإيمانَ برسولِ اللّه كافٍ للإيمانِ بها، ولِما يفيدُه الاقترانُ بالإيمانِ باللّه تعالى منَ المعنى المذكور؛ والمعنى: الإيذانُ بتحقُّقِ الإيمان بمجموعِ الشّرطِ بالامتثالِ في قسْمةِ الغنيمةِ.

### نكتةُ التّعبيرِ بالفعل ﴿كُنتُمْ﴾:

قسمةُ الغنيمةِ زيادةٌ في الإيمانِ، وتحقيقٌ للعبوديّة للدّيّان

أفادَ مجيءُ الفعلِ الماضي ﴿كُنتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ إثباتَ إيمانِ المخاطَبينَ، بمعنى تحقُّقِ وقوعِ إيمانِهم[2]، وهكذا في كلِّ شرطٍ يقترنُ به الفعلُ (كان)، ولو قال: (إنْ آمنتم باللّه) لكان المعنى على الاستقبال. كما أفادَ انتفاءَ إيمانِهم؛ لدلالةِ الشّرطِ على الاستقبال، فلمّا قال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾، ولم يدلَّ الفعلُ (كان) على انقطاعٍ طارئٍ، كان المعنى: إنْ كنتم آمنتُم باللّه حقًّا، وداومتُم على إيمانكم، فيُشعِرُ اللَّفظُ أنَّ العملَ بقسمةِ الغنيمةِ زيادةٌ في الإيمانِ وتحقيقٌ له.

### دلالةُ الاستعارةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾، فيه إطلاقُ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/8.
(2) الرّضيّ، شرح كافيّة ابن الحاجب: 2/293، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 4/64.

الإنزالِ على حصوله استعارة، تشبيهًا له بالواصل إليهم من علوّ، تشريفًا له، كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 26][1]، والحاصلُ: أنّ ذلك التّنزُّلَ "هو أوّلُ مشهدٍ شهدَه رسولُ الله ﷺ، واللّهُ على كلّ شيءٍ قديرٌ، فكان ممّا شهدتُم من تصريف قدرتِه بقضائه وقدره مع تأييد رسولِه، وإنجازِ وعده له، أن نصركم على قلّتِكم وجوعِكم وضعفِكم، على ثلاثة أضعافِ عددِكم أو أكثر منَ الأقوياء"[2].

عندما ينصرُ اللهُ نبيَّه، فلا غالبَ لبأسه، ولا قاهرَ لبطشه

### مناسبةُ تقييدِ الإنزالِ بظرف الزَّمانِ:

دلَّ تعلُّقُ ظرفِ الزّمانِ ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ بالفعل ﴿أَنزَلْنَا﴾، على تعظيم زمانِ الإنزالِ وتفخيمِه؛ لِما ظهر فيه منَ الآياتِ البيّناتِ ونصرِ المؤمنين على الكافرين، فأشعرَ بتعظيم الظّرفِ لشرفِ ما أنزلَ فيه من وحيٍ وملائكةٍ، وعظمِ ما تحقّقَ فيه من نصرٍ وتأييدٍ، وتلك سنّةُ اللّه في نصر عبادِه المرسلين، ودَحْرِ أعدائه منَ الكافرين والمناوئين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ [المجادلة: 20 - 21].

تشريفُ الظّرفِ الزّمانيِّ لِشرفِ مظروفه

### مناسبةُ تخصيصِ الإنزالِ:

تخصيصُ إنزالِ الآياتِ الباهراتِ بـ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، فيه مَلمحٌ عجيبٌ، ولطيفةٌ ماتعةٌ؛ فالفرقانُ هو اسمٌ للقرآنِ، حيثُ فرّق اللّهُ فيه بين الحقّ والباطلِ، والفرقانُ هو اليومُ الّذي نزلَ القرآنُ فيه على الرَّسولِ ﷺ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185]، وكلا الأمرين: نزولُ الفرقانِ ويومُ الفرقانِ في بدرٍ كانا في رمضانَ.

نـزولُ الفرقان ويومُ الفرقان، كلاهما كان في شهر رمضانَ الأبرك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/14.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 10/17.

**دلالة (أل) في لفظَي ﴿ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ و﴿ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾:**

مَن ينصره الله فلا غالبَ له سواه

التّعريفُ بـ(أل) في ﴿ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ و﴿ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ للعهد؛ للإيذانِ بحضورِ يومِ بدرٍ في أذهان المخاطَبين؛ لأهميّة هذا اليوم، "حيث كان يومًا فارقًا بين الحقّ والباطل، بين الإيمان والكفر، ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ جَمْعُ المسلمين، وجمعُ الكافرين، فقد شهدَ المسلمون في هذا اليوم، كيف كانت أمدادُ السّماءِ تتنزّلُ عليهم، وكيف كانت آثارُ هذه الأمداد في عدوّهم، وفي دحره وهزيمته"[1].

**دلالةُ ﴿يَوۡمَ﴾ بين البدليَّة وعطفِ البيان:**

التقاءُ الفريقينَ يومَ الفرقانِ، بمحضِ تدبيرِ اللهِ ذي الإحسان

لمّا كان ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ هو نفسه يومَ الفرقانِ، وكان على معنى تمامِ البيانِ والإيضاحِ، دلَّ على أنَّه بدلٌ من ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ أو عطفُ بيانٍ، فهو على معنى التّتميم، وجاء البدلُ أو عطفُ البيانِ مُضافًا إلى الجملة الفعليّة؛ للإشعارِ بعظمِ تدبيرِ الله في هذا الالتقاء؛ لما يفيدُه لفظُ ﴿ٱلۡتَقَى﴾، من كونِه عن غير قصدٍ من جمعِ المؤمنين، ولا من جمعِ الكافرين، بل بمحض تدبيرِ اللّهِ، ولتصويرِ حالةِ التقاءِ الجمعين؛ إذ فرّق اللّهُ به بين قوى الحقِّ وقوى الباطلِ، كما فرّق بقرآنه بين الحقّ والباطل، ولو قيل: (يوم بدر)، لم يُفد هذه الفوائدَ[2].

**مناسبةُ إضافةِ الظّرفِ إلى الفعل في قوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾:**

غلبةُ المؤمنين، تحقّقت بما أنزلَ اللهُ من أسبابِ النُّصرةِ الإلهيّة

أُضيف ظرفُ الزّمانِ إلى الجملةِ الفعليَّةِ ﴿ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾؛ لتصوير تلك الحالةِ الدّالَّةِ على ضعفِ أحدِ الفريقين وقوَّةِ الآخر، بما تقدّمَ من ذكرِ أحوالِ الفريقين، وللإشعارِ بغلَبَةِ الضَّعيف على القويِّ، بما أنزلَ اللّهُ من أسباب الفتحِ والنُّصرةِ، ولو قيلَ: (يومَ بدر)، لم يُفدْ هذا المعنى[3].

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/619.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/284.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 7/109.

### نكتةُ اختيارِ لفظِ ﴿ٱلۡجَمۡعَانِۖ﴾:

غرضُ نبذِ الفرقةِ بـينَ المـؤمنـين، الضّمانُ للنّصر والتّمكين

التّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلۡجَمۡعَانِۖ﴾ دون (الفئتان) أو (الجيشان) مثلًا؛ لِما فيه من قوّة الجمعِ والاحتشادِ، فعدوُّكم قد تجمّعَ يريدُ قتلَكم، وأنتم تجمّعتُم تريدون إزهاقَ الباطلِ، فلا ينبغي مع هذا التّجمّع أن تتفرّقوا بسببِ الغنائم، وأن تتقاتلوا على مكاسبِ الدّنيا؛ ففي استعمال هذه اللّفظة شحذٌ للهمم نحوَ الاجتماع، ونبذِ الفرقةِ بينَ الصُّفوفِ؛ لأنّ الاتّحادَ رحمةٌ، والفرقةَ عذابٌ، وفي عدم الجمع، ضعفُ القوّةِ، ووهنُ المقاومةِ، واشتدادُ شوكةِ العدوِّ، وميلانُ كفّةِ الغلبةِ، وذهابُ الرّيحِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: 46]، وقوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: 103].

### دلالةُ الواو بين الحاليّة والاستئناف:

قـــدرةُ الـلـه لا يُـعـجِـزُها شيءٌ في الأرض ولا في السّماء

تحتملُ الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، أن تكون حاليّةً على معنى: والحالُ في هذا كلّه، أنّ اللّهَ قديرٌ على هذا وغيره، من نصرةِ المؤمنين، وتكليفِهم بما يحفظُ عليهم دينَهم ودنياهم، كما تحتملُ أن تكونَ استئنافيّةً لتقريرِ حكمٍ كلّيٍّ، يدخلُ فيه ما تقدّمه.

### سرُّ التّقديمِ والتّأخيرِ:

كمالُ قدرةِ الله وعمومُ مُتعلَّقِها

لمّا كان تقديمُ متعلَّقات الخبر يفيدُ الاهتمامَ بها، والعنايةَ بشأنِها، مع تأكيدِ المعنى وتقريرِه، أفادَ تقديمُ شبه الجملة الجارّ والمجرور ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على خبر المبتدأ ﴿قَدِيرٞ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ إظهارَ قدرتِه ﷻ، في كلّ ذرّةٍ من ذرّاتِ الكونِ، وتقريرَها عندَ المخاطَبين، حتّى لا يتبادرَ لذهنِ أحدٍ أنّ هذه القدرةَ قد يفوتُها بعضُ الأشياء، "فقد شهدَ المسلمون في هذا اليوم، كيف

كانَت أمدادُ السّماءِ تتنزّلُ عليهم، وكيف كانَت آثارُ هذه الأمداد في عدوِّهم، وفي دحره وهزيمته"[1].

### نكتةُ التّعبيرِ بألفاظ العمومِ في ﴿كُلِّ﴾ و﴿شَيْءٍ﴾:

الإعلامُ بعمومِ قدرةِ اللهِ وإحاطتِها بكلِّ شيءٍ، مرقاةٌ إلى اليقين

لمّا كان لفظُ ﴿كُلِّ﴾ مِن ألفاظ العموم الّتي تستغرقُ كلَّ أفرادِ ما أُضيفَ اللَّفظُ إليه، وكان ﴿شَيْءٍ﴾ أعمَّ لفظٍ من ألفاظ المعاني؛ لدلالتِه على كلِّ ما يصحُّ الإخبارُ عنه منَ المخلوقاتِ في هذا السّياق، في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فالتّركيبُ منَ العامِّ الّذي يأتي على الجملة لا يغادرُ منها شيئًا[2]، فلمّا كان كذلك أفادَ التّعبيرُ بهذا التّركيبِ عمومَ قدرةِ اللّه تعالى وإحاطتَها بكلِّ شيءٍ.

### مناسبةُ تقديمِ المُتعلَّقِ على المتعلَّقِ به:

إفادةُ التّقديم حصرَ المعنى وتأكيدَه، لمزيدٍ منَ التّحقُّق بفحواه

قُدِّمَ مُتعلَّقُ المسندِ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على المسندِ في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لتخصيصِ الأمر بقدرة اللّهِ وحدَه، ولتأكيدِه، وتقريرِه، فالمعنى على الحصرِ، "وفي هذا إشارةٌ إلى اللّه تعالى القادر على كلّ شيءٍ، هو الّذي نصركم، وهو الّذي قهرَ عدوَّكم، مع كثرة العَدد والعُدَد، وهو الّذي بدَّلَ من ذُلِّكم عزًّا، ومن عزّهم خذلانًا، وهو الّذي دمغَ الباطلَ فأزهقه، وهو الّذي حقَّ الحقَّ بكلماته، وأبطلَ المُجرمون، فإذا كان نصرُكم بتأييد اللّه، وتؤمنون به حقَّ إيمانكم فلا تستكثروا حقَّ اللّه والضّعفاء في الغنائم، إن كنتم مؤمنين"[3]، فإن قدرتُم بالنّصر والتّمكين، فلا تنسوا قدرةَ اللّه ربِّ العالمين.

### مناسبةُ إيثارِ لفظ ﴿قَدِيرٌ﴾:

تنوّعُ الدّلالاتِ وتكثيرُها بلفظٍ واحدٍ؛ لمناسبة المقامِ

إيثارُ الاسمِ الجليلِ بوصفِه بـ﴿قَدِيرٌ﴾، في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لتُختمَ به هذه الآيةُ، فيه دلالاتٌ لغويَّةٌ بلاغيَّةٌ مناسبةٌ لمقامِ الكلامِ وسياقِه، وهي: أوّلها: لمّا كان لفظُ ﴿قَدِيرٌ﴾ صفةً مشبّهةً

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/619.
(2) ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، ص: 159.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3138.

على معنى المبالغة في الوصفِ، دلَّ على دوامِ اتّصافِ اللّهِ تعالى بالقدرة وثبوتِها؛ ليؤذنَ باستمرارِ أثرِها في كلِّ شيءٍ. وثانيها: فيه تعريضٌ بالوعيدِ، لِمَن يتنكّبُ عن تشريعات اللّه وأحكامه الّتي تقدّمَت. وثالثها: فيه إشارةٌ إلى أنّ هذه المغانمَ ما كانَت لتكون لولا قدرتُه تعالى. ورابعها: فيه تذكيرٌ بنصره تعالى للمؤمنين ببدرٍ، وبقدرته على أن يفعلَ هذا دومًا، فاللّهُ تعالى قادرٌ على أن ينصرَ القليلَ على الكثيرِ، والذّليلَ على العزيزِ، كما فعلَ بكم ذلك اليوم، فلا يُعجزُ اللّه شيءٌ، ولا يخرجُ عن قدرته شيءٌ.

**حسنُ التّذييل في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾:**

تنوّعُ فوائدِ جملةِ التّذييلِ لعمومِ معناها، وعمقِ دلالتها

في الإتيانِ بجملةِ التّذييلِ فوائدُ، هي: أنّ الآيةَ الكريمةَ ذُيِّلَت بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ لتفيدَ معنى العمومِ والكلّيّةِ، وأنّها لمّا كانَت على معنى العمومِ كانَت كالمَثَلِ في جريانِها في الكلامِ؛ لصحّة التّمثيل بها في بيانِ إحاطةِ قدرةِ اللّهِ بكلِّ شيءٍ، وأنّه لا يفوته شأنٌ ولايعجزه أمرٌ. وأنّ جملةَ التّذييلِ، كما تفيدُ تأكيدَ مفهومِ الآيةِ، فإنّه يدخلُ في عمومِها قدرةُ اللّه على نصرِ المؤمنين، وهم قليلون بالأولويّة لمناسبة السّياق، وأنّ الإيذانَ بالتّعجيب من أمرِ اللّه، وعظيمِ قدرته؛ لانعكاس الأمرِ في النّصرِ، إذ نصرَ القليلَ على الكثيرِ؛ للإشعارِ بأنّ ما فعل هو الجاري على سننِه المطّردة[1].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الأنفال والغنيمة والفيء:

اختلافُ التّعبيرِ عنِ المعنى الواحدِ؛ لاختلافِ الاعتباراتِ

وردَ في سورة الأنفال استعمالُ النَّفَلِ والغَنيمَةِ، ووردَ في القرآن - أيضًا - لفظُ ﴿أَفَآءَ﴾ [الحشر: 7]، والفرقُ بينها: أنّه إذا اعتُبِر بكون المالِ مَظْفورًا به بقوّةٍ وشوكةٍ؛ يُقالُ له: غَنيمَةٌ، وإذا حصلَ من غيرِ قتالٍ؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/284، والبهاء السّبكيّ، عروس الأفراح: 1/612.

يُقالُ له: الفَيْء، وإذا اعتُبِرَ بكونه مِنحَةً منَ اللّه ابتداءً من غير وجوبٍ؛ يُقالُ له: نَفَلٌ، أو أن يكونَ قبلَ القِسْمةِ من جملةِ الغنيمة. وذهبَ بعضُ اللّغويّين إلى أنَّ الفرقَ بينَ الغنيمةِ والفيءِ هو أنَّ الغنيمةَ اسمٌ لما أُخِذَ من أموال المشركين بقتالٍ، والفيءَ ما أُخِذَ من أموالهم بقتالٍ وغير قتالٍ إذا كان سببُ أخذه الكفرَ[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 391، والرّاغب، المفردات: (فيأ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 16 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-12-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 16 : المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-12-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»